

تفريغ دروس (شرح متن الجزرية)

شرح الشيخ

هاني السعافين أبي عمر حفظه الله

الدرس رقم (١)

المستوى الثاني

التاريخ: الأربعاء ١٥ / شوال / ١٤٤٠ هـ

١٩ / حزيران / ٢٠١٩ م

الدرس الأول من شرح متن الجزرية

إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ نَحْمَدُهُ وَنُسْتَعِينُهُ وَنَسْتَغْفِرُهُ وَنَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ شَرِّهِ وَأَنْفُسَنَا وَسَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا مِنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ، وَمَنْ يَضِلُّ فَلَا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ.

أما بعد:

فإن خير وصية أوصانا بها ربنا هي تقواه واجتناب معصيته، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ وَصَّيْنَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنْ اتَّقُوا اللَّهَ﴾ [النساء: ١٣١]، ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَلْتَنْظُرْ نَفْسٌ مِمَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ [الحشر: ١٨]

وكان النبي صلى الله عليه وسلم يوصي أصحابه بتقوى الله؛ فالتقوى هي سبيل النجاة والفوز وسبب لمحبة الله سبحانه وتعالى، ثم اعلّموا إخواني أن خير الحديث كتاب الله وخير الهدي هدي محمد صلى الله عليه وسلم وشر الأمور محدثاتها وكل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة وكل ضلالة في النار.

إخواني في الله؛ إن خير ما اجتهد فيه المرء وأفنى عمره في فهمه وتعلم علومه وتدبر معانيه وإقامة حدوده وحروفه وألفاظه؛ كتاب الله فهو الطريق المستقيم البين الموصل إلى الله والحبل المتين من تعلق به نجا ومن خالفه ونبذه وراء ظهره ضل وغوى.

فالواجب علينا أن نستبصر بكتاب الله وأن نتخلق بخلق الله بتوحيده وطاعته واجتناب الشرك ومعصيته، وأن نقيم حدوده قبل إقامة حروفه.

قال تعالى: ﴿كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ [ص: ٢٩] وقال تعالى: ﴿وَهَذَا كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ فَاتَّبِعُوهُ وَاتَّقُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ [الأنعام: ١٥٥]

ثم بعد ذلك نعتني بإقامة ألفاظه وحروفه، فمن جمع بين ذلك جمع بين الخيرين وقد كان سلفنا الصالح يعتنون بفهم القرآن والعمل به قبل حفظه وإقامته لفظه.

قد كان كثير من الصحابة لا يحفظون القرآن بكليته، ولكن لا تجد صحابيا واحدا يخالف كتاب ربه، أو يسعى إلى مخالفته، وقد كانوا يتعلمون القرآن والعمل معه.

قال المفسرون في تفسير الحكمة في دعوة إبراهيم وإسماعيل: في قوله تعالى: ﴿رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [البقرة: ١٢٩]

قال مجاهد: فهم القرآن. وقال مقاتل: مواعظ القرآن وما فيه من الأحكام. وقال ابن قتيبة: هي العلم والعمل به، ولا يكون الرجل حكيماً حتى يجمعهما. وكذلك أخرج أحمد عن أبي عبد الرحمن السلمي قال: حدثنا من كان يقرئنا من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم أنهم كانوا يقتربون من رسول الله صلى الله عليه وسلم عشر آيات، فلا يأخذون في العشر الأخرى حتى يعلموا ما فيها من العلم والعمل قالوا: فعلنا العلم والعمل.

فهذه هي الغاية المرجوة من تعلم القرآن وهي: العمل به حتى لا يكن هذا الكتاب حجة عليك تقيم حروفه ثم تنتهك حدوده، فتدخل في قول النبي صلى الله عليه وسلم: «والقرآن حجة لك أو عليك».

قال بعض السلف: ما جالس أحد القرآن فقام عنه سالماً بل إما أن يربح أو أن يخسر. ثم تلى قوله تعالى: ﴿وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إِلَّا خَسَارًا﴾ [الإسراء: ٨٢]

وقال ابن مسعود رضي الله عنه وأرضاه: «القرآن شافعٌ مشفع وماحلٌ مصدق - يعني خصمٌ مجادل - فمن جعله إمامه قاده إلى الجنة ومن جعله خلف ظهره قاده إلى النار»، وعنه قال: «يجيء القرآن يوم القيامة فيشفع لصاحبه فيكون قائداً إلى الجنة أو يشهد عليه فيكون سائقاً إلى النار». نسأل الله العافية.

وقال أبو موسى الأشعري: «إن هذا القرآن كائنٌ لكم أجراً وكائنٌ عليكم وزراً». يعني كتاب الله سبحانه وتعالى إما أن يكون لك به الأجر وإما أن يكون عليك وزر؛ تقرأ الآيات ثم لا تعمل بها، وتخالف هذه الآيات فيكون عليك ماذا؟ كتاب الله وزر وحجة عليك.

ثم قال رحمه الله: فاتَّبِعُوا الْقُرْآنَ وَلَا يَتَّبِعْكُمْ الْقُرْآنَ فَإِنَّهُ مَنْ اتَّبَعَ الْقُرْآنَ هَبَطَ بِهِ عَلَى رِیَاضِ الْجَنَّةِ؛ إِذَا اتَّبَعْتَ الْقُرْآنَ وَعَمِلْتَ بِمَا فِيهِ وَبِمَا أَرَادَ رَبُّنَا سَبَّحَانَهُ وَتَعَالَى هَبَطَ بِكَ عَلَى رِیَاضِ الْجَنَّةِ؛ أَيْ كَانَ سَبَبًا فِي دُخُولِكَ الْجَنَّةِ. ثم قال رحمه الله: ومن اتبعه القرآن زَجَّ في قفاه فقفذه في النار.

يعني إذا أردت بكتاب الله سبحانه وتعالى ما تبتغي وتشتهي وأردت تحريف آيات الله سبحانه وتعالى على وفق ما تريد؛ وفق هواك فإن هذا القرآن سيكون سبباً في دخولك النار. إذن علينا جميعاً أن نحذر وأن يكون همتنا هو تدبر كتاب الله وكذلك العمل به.

وقد وُجد من هذه الأصناف ممن همهم إقامة الحرف مع تقصيرٍ في إقامة الحدود، والتقصير في فهم القرآن فلا يبالي بإقامة الحدود ولا يبالي في فهم القرآن والعمل به.

وجد من هذه الأصناف الشيء الكثير، حتى أن بعضهم يجلس السنين الطوال في تعلم نطق حرفٍ وإتقانه ويغلو غلو شديداً ويتنطع ولا يتعلم التوحيد ولا السنة. وهذه والله مصيبة عظيمة وبلية أبتلي فيها كثير من الشباب فضيعوا أوقاتهم وذهبت أنفسهم حشرات وانشغلوا بالمهم عن الأهم. والناظر في حال الشباب يعلم ذلك علماً يقينياً.

فنسأل الله سبحانه وتعالى أن يعيننا وإياكم على أن نكون وسطاً عُدولاً إنه ولي ذلك والقادر عليه، وكما تعلمون إخوتي أن هذا هو المجلس الأول من محالس شرح متن المقدمة الجزرية بعد أن وفقنا الله سبحانه وتعالى في شرح المتن الأول من متون التجويد، متن تحفة الأطفال في المستوى الأول على موقع معهد الدين القيم الذي يشرف عليه شيخنا حفظه الله الشيخ علي الرملي بارك الله في جهوده، سنقوم بشرح متن المقدمة الجزرية في المستوى الثاني، فنسأل الله سبحانه وتعالى أن يعينني على شرحه ويعينكم على فهمه وتعلم ما فيه، ولعلنا نقدم مقدمة بين يدي هذا المتن وهذه المنظومة.

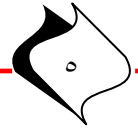
أولاً سنتكلم في علم التجويد وكنا قد تكلمنا فيه سابقاً ولكن نتكلم فيه باختصار:

«التجويد» قال في المحيط: التجويد من الجيد ضد الرديء وأصلها: جاد يوجد جُودَةً وجُودَةً، أي: صار جيداً وهذا هو المعنى في اللغة.

وفي الاصطلاح: تعلمون أن لكل قوم اصطلاحات، أهل الحديث لهم اصطلاحات يعرفون فيها ماذا؟ بعضاً من الأحاديث، يعرفون الحديث الصحيح والمنكر والشاذ، اصطلاحات يتفقون عليها فيما بينهم ويجررونها أصحاب هذا العلم حتى يصلون إلى تعاريف مقبولة.

وكذلك أيضاً في علم التجويد هنالك اصطلاحات بين أهل هذا الفن، من هذه الاصطلاحات تعريف التجويد، فأهل هذا الفن يُعرفونه بأنه علم يبحث في الحروف والألفاظ، هذا مكان بحثك: الحروف والألفاظ، وكيفية نطقها وما يتعلق بها من صفات وخصائص، وكذلك معرفة الوقف والابتداء، والمقطوع والموصول والرسم أي: رسم القرآن وما شابه، إذن هذا هو مكان بحث علم التجويد.

ثانياً من حيث حكمه – أي حكم التجويد – وكما قلنا سابقاً أن التجويد بالجملة مستحبٌ وليس واجباً، ولكن اللحن الجلي إذا كان يؤدي إلى فساد المعنى يلحن الإنسان لحنًا جلياً، فيغير حركة مكان حركة أو ما شابه فيؤدي هذا إلى فساد المعنى فهو حرام على القادر على التعلم، وكذلك لا يحسن لطالب العلم ترك هذا العلم لأنه أصبح في أيامنا سببٌ وسبيلٌ للدعوة إلى الله في المساجد والمرابط.



فكثير ممن تولى زمام الأمور يحرصون على أن يكون الإمام أو الخطيب ممن يتقن التجويد بغض النظر عن عقيدته وهذا واقع مشاهد، ولهذا يحرص طالب العلم عليه ولكن بتوسط واعتدال.

ثالثاً الغاية منه: ما الغاية من علم التجويد؟ الغاية منه تحسين قراءة القرآن بحيث تخرج الكلمات واضحة وسهلة بعيداً عن التكلف. أيضاً عندنا مقدمة بين يدي الكتاب.

التعريف بالكتاب

الكتاب الذي سندرسه في هذا المستوى؛ هو المستوى الثاني كما ذكرنا لكم: المقدمة الجزرية وهو كتاب سهل وميسر احتوى على مهمات من هذا العلم ابتدأه ناظمه بمقدمة ثم تكلم عن مخارج الحروف، صفاتها، ثم تكلم عن التجويد والعناية به، ثم تكلم عن التفريق بين بعض الحروف؛ يعني يفرق بين حرف الضاد وحرف الظاء كيفية النطق بهذا وهذا، وتكلم أيضاً عن أحكام النون والميم الساكنتين والمدود والوقف والابتداء والمقطوع والموصول وما شابه وتاء التأنيث وهمزة الوصل ثم ذكر خاتمة، فنسأل الله سبحانه وتعالى أن يعيننا وإياكم على شرحه وفهمه.

أما الناظم فهو أبو الخير شمس الدين محمد بن محمد بن محمد بن علي بن يوسف الدمشقي الجزري الشافعي، والجزري نسبة إلى جزيرة ابن عمر وهي تقع في تركيا الآن، ولد عام سبعمائة وواحد وخمسين للهجرة (٧٥١هـ) بدمشق، حفظ القرآن وهو ابن ثلاثة عشر عاماً وبعدها بدأ في تعلم القراءات فتلقاها عن مشاهير علماء عصره وجهابذتهم من الشام ومصر والحجاز.

وهذا الناظم له مؤلفات عديدة في القراءات وعلوم القرآن والحديث والتاريخ والفضائل بعضها مطبوع وبعضها لازال مخطوطاً أشهرها: «أبيات المقدمة الجزرية» التي بين أيدينا وأيضاً: «النشر في القراءات العشر»، و«التمهيد في علم التجويد» وغيرها من الكتب، أما من حيث العقيدة فغالb المشتغلين في هذا العلم عندهم أصول فاسدة مخالفة لعقيدة أهل السنة والجماعة سواءً في توحيد الألوهية أو في توحيد الأسماء والصفات، ويحكي أن ابن الجزري صوفي أشعري والله أعلم.

نبدأ في شرح النظم، قال رحمه الله:

عَلَى نَبِيِّهِ وَمُصْطَفَاهُ
وَمُقَرَّرِ الْقُرْآنِ مَعَ مُحَبِّهِ
فِيمَا عَلَى قَارِئِهِ أَنْ يَعْلَمَهُ
قَبْلَ الشُّرُوعِ أَوَّلًا أَنْ يَعْلَمُوا

الْحَمْدُ لِلَّهِ وَصَلَّى اللَّهُ
مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَصَحْبِهِ
وَبَعْدُ إِنَّ هَذِهِ مُقَدِّمَةٌ
إِذْ وَاجِبٌ عَلَيْهِمْ مُحَتَّمٌ

لِيَلْفِظُوا بِأَفْصَحِ اللُّغَاتِ
وَمَا الَّذِي رُسِمَ فِي الْمَصَاحِفِ
وَتَاءِ أَنْثَى لَمْ تَكُنْ تُكْتَبُ بِهَا

مَخَارِجَ الْخُرُوفِ وَالصِّفَاتِ
مُحَرَّرِي التَّجْوِيدِ وَالْمَوَاقِفِ
مِنْ كُلِّ مَقْطُوعٍ وَمَوْصُولٍ بِهَا

في هذه الأبيات:

مُحَمَّدُ بْنُ الْجَزَرِيِّ الشَّافِعِيُّ

يَقُولُ رَاجِي عَفْوِ رَبِّ سَامِعٍ

يرجو من الله السامع دعائه والمستجيب له؛ لأن السمع هنا متضمن للإجابة ومنه قول الداعي في الصلاة: «سمع الله لمن حمده» أي: استجاب الله لمن حمده

إذن يرجو من الله سبحانه وتعالى أن يعفو عنه ويغفر له ذنوبه ويتجاوز عنها، والعفو كما تعلمون صفة من صفات الله سبحانه وتعالى تضمنها اسمه «العفو» ومعناها: التجاوز عن العقوبة ومحو آثارها قال تعالى:

﴿إِنْ تُبْدُوا خَيْرًا أَوْ تُخْفُوا أَوْ تَعْفُوا عَنْ سُوءٍ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ عَفُوًّا قَدِيرًا﴾ [النساء: ١٤٩]

ويظهر من هذه الأبيات أن ابن الجزري متفقه على المذهب الشافعي حيث قال:

«مُحَمَّدُ بْنُ الْجَزَرِيِّ الشَّافِعِيُّ»

وقوله: «الْحَمْدُ لِلَّهِ وَصَلَّى اللَّهُ» إلى آخر النظم

من قوله: الحمد لله إلى آخر النظم الجملتان وما بعدهما إلى آخر النظم تسمى عند أهل اللغة: جمل مقول القول. فهو يقول: الحمد لله إلى آخر النظم؛ هذا كله مقول القول.

وقوله: «الحمد لله»

الحمد كما تعلمون هو: وصف الممدوح بصفات الكمال مع التعظيم والمحبة له سبحانه وتعالى. فأنت تصف الله سبحانه وتعالى حين تمدحه بصفات الكمال محبةً وتعظيمًا له سبحانه وتعالى.

وهنالك فرق بين الحمد والمدح المجرد، فإذا خلا المدح من المحبة والتعظيم خرج عن كونه حمداً وخرج عن كونه عبادة. فحتى يكون المدح حمداً لا بد أن يرافقه كمال المحبة وكمال التعظيم لله تعالى.

وقولنا: «الحمد»؛ هذه اللام لام التعريف؛ «ال»: هذه اللام للاستغراق أي أن جميع المحامد لله تعالى فهو المستحق لها وأن حمده يكون على كمال ذاته وصفاته وأفعاله. وما من حمد يُحمد به مخلوق إلا وكماله ثابت

لله تعالى؛ لأن الخير منه وإليه سبحانه كما قال النبي صلى الله عليه وسلم: «والخير كله في يديك»

تنبيه بعض أهل العلم يُعرف الحمد بأنه: الثناء على الله بالجميل الاختياري والشيخ العلامة محمد صالح بن العثيمين رحمة الله عليه نسب هذا التعريف بالقصور ووجه ذلك أولاً: قال رحمه الله: أن الثناء أخص من المدح وأن الثناء مدحٌ مكرر واستدل رحمه الله على ذلك بما أخرجه مسلم في صحيحه من حديث أبي هريرة والحديث قدسي.

قال النبي صلى الله عليه وسلم في هذا الحديث: «أن العبد وهو يصلي إذا قال: الحمد لله رب العالمين قال الله: حمدني عبدي، فإذا قال: الرحمن الرحيم قال: أثني علي عبدي»

فَفَرَّقَ الله سبحانه وتعالى بين الحمد والثناء وجعل الثناء أخصَّ من الحمد فجعله مدحاً ماذا؟ ولكن مع التكرار فالثناء لا بد أن يكون مدح ولكن هذا المدح لا بد أن يكون مدحاً مكرر تكرر. فهنا تكون أنت أثنت على الله سبحانه وتعالى والله أعلم.

قال: الثاني: قولهم بالجميل الاختياري قال: يخرج بذلك الحمد على كمال الصفات اللازمة التي لا تتعدى كالعظمة والكبرياء وما أشبه ذلك والله تعالى محمود على صفات الكمال اللازمة صفات الكمال المتعدية فهو محمود على كماله ومحمود على إحسانه سبحانه وتعالى.

فيُحمد ربنا جل في علاه على ذاته، كمال صفاته، كمال أفعاله سواء الصفات اللازمة أو الصفات المتعدية ولا يختص الحمد الصفات المتعدية التي تظهر آثارها والله أعلم.

كذلك ذهب جماعة من العلماء إلى أن الحمد والشكر والمدح ألفاظٌ مترادفة يعني لها نفس المعنى فالحمد والشكر والمدح عندهم لها نفس المعنى ومنهم من قال: أنها حقائقٌ مختلفة فجعلوا الحمد والشكر متغايرين وكذلك المدح والله أعلم.

وقوله: «**الله**»؛ اللام للاختصاص فإن الحمد كله لله تعالى فهو المُستحق له وحده لا سواه فله الحمد في الأولى والآخرة، والجار والمجرور «**الله**» متعلقٌ بمحذوف يُقدر واجبٌ أو ثابت أو مستقر كما هو معروف في تقدير ماذا؟ تقدير المحذوف للجار والمجرور.

«**الله**»: عَلم على الباري سبحانه وتعالى تتبعه جميع الأسماء واختلف في أنه مشتق أم أنه غير مشتق، وعندما نقول: مشتق يعني له اشتقاق كضرب مثلاً تُشتق تقول: «ضرب» «يضرب» «ضارب» «مضروب» هذه اشتقاقات تسمى عند أهل العلم يعني يمكن أن تشتق منه اسم فاعل واسم مفعول وصفة مشبهة وما شابه

وإذا قلنا: غير مشتق أنه جامد لا يمكن أن نشق منه ك: ليس؛ ليس لا يمكن أن تشتق منها غير ليس.

فاختلفوا هل هو جامد أم مشتق والذين قالوا: أنه مشتق اختلفوا في أصل اشتقاقه والذي يختاره كثير من العلماء أنه مشتق من «أله» «يأله» «الإلهة» فهو «مألوة» يعني «عبد» «يعبد» «عبادة» فهو «معبود» سبحانه وتعالى.

والإله ذو الألوهية التي لا تنبغي إلا له جل في علاه فهو المستحق للعبادة فهو المعبود الحق لا معبود سواه.

ثم المصنف بعد أن ذكر «الحمد لله» ذكر الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم فقال رحمه الله:

----- وَصَلَّى اللهُ
مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَصَحْبِهِ
عَلَى نَبِيِّهِ وَمُصْطَفَاهُ
وَمُقَرَّرِ الْقُرْآنِ مَعَ مُحَبِّهِ

الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم؛ أفضل ما قيل في معناها: ثناء الله عليه في المألأ الأعلى. وهذا ما ذكره البخاري معلقاً عن أبي العالية قال: صلاة الله ثناؤه عليه عند الملائكة، وصلاة الملائكة: الدعاء؛ فتدعو الملائكة أن يثني الله سبحانه وتعالى على نبيه عنده في المألأ الأعلى.

وكذلك حين نقول: «اللهم صل على محمد» أي: ندعو الله سبحانه وتعالى أن يثني عليه، وكذلك علق البخاري عن ابن عباس أن «يصلون» بمعنى: يركون فأيضاً فيه دعاء بالبركة للنبي صلى الله عليه وسلم أن يبارك الله سبحانه وتعالى ويرفع شأنه ويرفع ذكره؛ لأن البركة من زيادة الخير ودوامه واستقراره وكذلك أن يبارك الله سبحانه وتعالى في دعوته بكثرة الأتباع والله أعلم.

وقوله: «عَلَى نَبِيِّهِ وَمُصْطَفَاهُ»

لفظ النبي له اشتقاقان: الأول: مشتق من النبأ، والثاني: قيل مشتق من النبوة وهي الارتفاع. وكلاهما صحيح في حق النبي فهو منبأ من ربه، نُبِّيَ عن أشياء أنبأه الله بالرسالة وأوحى إليه. وكذلك منبئ ينبئ ماذا؟ العباد ويخبرهم ويشرهم وينذرهم، هذا من النبأ.

وكذلك من النبوة؛ لأن له من الرفعة ما له. فإن مقام النبوة من أعظم المقامات وأرفعها وأعلاها. فهو يشمل كلا من الأمرين أو المعنيين.

والنبي في الاصطلاح اختلف أهل العلم على أقوال في حده وبيان معناه أفضلها وأرجحها هو: من بُعث لتقرير شرع من قبله والتعبد به؛ يعني لم يُبعث بشرع جديد بخلاف الرسول فهو: من بُعث بشرع جديد وكلاهما - هذه نقطة مهمة - وكلاهما مأمور بالتبليغ يعني كل من النبي وكل من الرسول مأموران بالدعوة

إلى الله، يعني كل منهما أمر بالدعوة إلى الله سبحانه وتعالى ولا يعقل أن يعيش النبي بين أناس ولا يدعوهم ولا يشرهم ولا ينذرهم ولا يبلغهم دين الله سبحانه وتعالى. فإن كان العلماء يؤمرون بذلك فالنبي من باب أولى وهذا أقرب الأقوال وأرجحها وهو ما اختاره كثير من أهل العلم ومنهم في عصرنا الشيخ العلامة الألباني رحمه الله عليه والله أعلم.

وقوله: «وَمُصْطَفَاهُ»

الاصطفاء في اللغة: الاختيار، قال الله تعالى: ﴿اللَّهُ يَصْطَفِي مِنَ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ﴾ [الحج: ٧٥]

فالله اختاره نبيا ورسولا وقربه وجعل له من المقامات ما ليس لأحد سواه من البشر ويشير إلى هذا ما رواه مسلم في صحيحه عن واثلة بن الأسقع، يَقُولُ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى كِنَانَةَ مِنْ وَلَدِ إِسْمَاعِيلَ، وَاصْطَفَى قُرَيْشًا مِنْ كِنَانَةَ، وَاصْطَفَى مِنْ قُرَيْشٍ بَنِي هَاشِمٍ، وَاصْطَفَانِي مِنْ بَنِي هَاشِمٍ»^(١)

فكان النبي صلى الله عليه وسلم خير الناس نسبا وكان أفضل الأنبياء وخير الرسل صلوات ربي وسلامه عليه.

وقوله: «مُحَمَّدٍ»

نبينا الكريم محمد بن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم إلى آخر نسبه صلى الله عليه وسلم.

وقوله: «وَأَلِهِ وَصَحْبِهِ»

الـ«آل» تطلق ولها معاني على حسب ما افترن بها هذا قول. فقالوا: إذا جاء مع الـ«آل» ذكر الصحب وذكر التابعين فإن الـ«آل» مختص بقرابته من المؤمنين فقط والصحب صحابته وأتباعه هم من جاء بعده إلى يوم القيامة. وقيل غير ذلك قيل: أن الـ«آل» جميع أتباعه من أمته سواء أهل بيته من المؤمنين أو الصحابة أو التابعين.

في هذه الحالة يكون عطف الصحابة «وَصَحْبِهِ»؛ من باب عطف الخاص على العام في هذه الحالة؛ لأن الـ«آل» عام يدخل فيه الجميع: قرابته من بيته، يدخل فيه صحابته، ويدخل فيه أتباعه من أمته إلى يوم

(١) مسلم (٢٢٧٦).

القيامه، والصحب لن تكون من الـ«آل» فيكون من باب عطف الخاص على العام وهذا تسمعوناه كثيرا عطف الخاص على العام.

تقول مثلا: «جاء طلبه الصف العاشر ثم تذكر ومحمد» ومحمد يكون من الصف العاشر. فأنت ذكرت شيئا من ذلك العام فعطفت الخاص على العام هذا معنى عطف الخاص على العام. مثلا: أكلتُ الطعام واللحم، اللحم من الطعام وهكذا.

إذن قوله: «وَأَلِهٍ وَصَحْبِهِ»؛ على ما ذكرناه.

والصحب جمع صحابي، أهل العلم حدوا الصحابي بمن لقي النبي صلى الله عليه وسلم يعني لقي النبي صلى الله عليه وسلم في حياته مؤمنا به هذا الشرط الأول: أن يكون آمن به في حال حياة النبي صلى الله عليه وسلم؛ لأن من الناس من لقي النبي صلى الله عليه وسلم ولم يؤمن بالنبي إلا بعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم فلا يدخل في جملة الصحابة كالرسل الذين كانوا يبعثون من الملوك بعضهم آمن بعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم.

ومات على الإيمان؛ هذا الشرط الثاني يعني إذا ارتد ومات على الكفر لا يكون صحابيا.

وقال أهل العلم: وإن تخلل ذلك ردّة يعني لو أن هذا الصحابي آمن بالنبي صلى الله عليه وسلم ثم ارتد عن دين الإسلام ثم رجع ودخل في دين الإسلام فهذا أيضا تثبت له الصحبة على أصح الأقوال.

وقوله: «وَمُقَرَّرِ الْقُرْآنِ مَعَ مُحِبِّهِ»

من هو مقرئ القرآن؟ الذي يعلم القرآن يعلم الناس وجوه القراءة.

«مَعَ مُحِبِّهِ»: الأشهر في «مَعَ» الفتح «مَعَ» ولكن لضرورة النظم سُكِّنَ وهذا جائز لغة أيضا تأتي «مَعَ» إما بالسكون وإما الأفصح أن تأتي «مَعَ» بالفتح.

إذن: «مَعَ مُحِبِّهِ»: الهاء هذه قد تعود على القرآن وقد تعود على مقرئ القرآن يعني إما أن يكون المراد مَعَ مُحِبِّ مقرئ القرآن وإما أن يكون المراد مَعَ مُحِبِّ كتاب الله سبحانه وتعالى؛ القرآن نفسه.

وهنا أيضا يدعو المصنف لمن يُقرئ القرآن ويعلم الناس وكذلك من يحب كتاب الله يدعوا له بأن يبارك الله سبحانه وتعالى فيه، وأن يبارك في دعوته، وكذلك دعاء له بالخير دعاء عام يشمل كل ما فيه خير له وإبعاده عن كل شر وسوء.

وَبَعْدُ إِنَّ هَذِهِ مُقَدِّمَةٌ فِيمَا عَلَى قَارِئِهِ أَنْ يَعْلَمَهُ

يعني يريد أن ينتقل الآن مما تقدم من الحمد والصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم فجاء بكلمة: **وبعد**: يعني هذه الكلمة قال أهل العلم يُؤْتَى بها للتخلص تخلص من أسلوب إلى أسلوب آخر وتنتقل. فمعنى الكلام: بعد ما تقدم من الحمد والصلاة أقول: إن هذه مقدمة فيما على قارئه إلى آخره. كلمة **«بعد»** كما تعلمون ظرف وهذا الظرف هنا بني على الضم؛ لأنه منقطع عن الإضافة وهنا شاع عند المتأخرين كلمة **«وبعد»**

وأما النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه فالوارد عنهم: **«أَمَّا بعد»** ولكن كلمة: **«وبعد»** بالواو بدل **أَمَّا** يعني استبدلوا **أَمَّا** بالواو شاعت عند المتأخرين ولكن الأفضل أن يؤتى بـ: **«أَمَّا بعد»**. وهنا كلمة **«وبعد»** لا تحتاج إلى الفاء بعدها ويجوز مجيء الفاء ولكن لا تحتاج، لا يجب أن تأتي الفاء كرابطة لعدم وجود **«أَمَّا»** التفصيلية أما إذا وجدت **«أَمَّا»**؛ **«أَمَّا بعد»** فلا بد أن تأتي بالفاء وجاءت نادرا في اللغة من غير الفاء فيما بعدها والله تعالى أعلم. وقوله:

----- إِنَّ هَذِهِ مُقَدِّمَةٌ فِيمَا عَلَى قَارِئِهِ أَنْ يَعْلَمَهُ

المقدمة طائفة من مسائل علم القراءة هذه المقدمة التي يقصد بها؛ لأن المقدمة الطائفة من الشيء تقول: مقدمة الجيش طائفة منه فهذه طائفة من مسائل علم القراءة ينبغي على قارئ القرآن أن يتعلمها ويعتني بها ويهتم بشأنها هذا الذي يريده من ذكر هذه المقدمة. وقوله:

إِذَا وَاجِبٌ عَلَيْهِمْ مُحْتَمٌ قَبْلَ الشُّرُوعِ أَوَّلًا أَنْ يَعْلَمُوا

يعني قبل أن يشرعوا في قراءة القرآن واجبٌ عليهم أن يعلموا أشياء سيذكرها أثناء المقدمة لكن هذا الوجوب هل الوجوب الشرعي؟ قلنا: بالجملة علم التجويد ما به مستحب حتى الشُّراح الذين شرحوا هذه المقدمة اختلفوا في قول الناظم:

إِذَا وَاجِبٌ عَلَيْهِمْ مُحْتَمٌ

هل هو الواجب الشرعي؟ فذهب جماعة منهم إلى أن الوجوب هنا هو الوجوب الاصطلاحي وهو ما لا بد من فعله ولا يستحسن تركه ولكن لا يأثم إذا تركه.

وجوب اصطلاحى عندهم كما أقول لك: واجب عليك لكن لا أريد الوجوب الشرعي كما يقول بعض الناس هذا واجب علي. هو مسألة اصطلاحية ألزم نفسه به ولكن لا يعني هنا الوجوب الشرعي لماذا؟ قالوا: لأن في أثناء المقدمة هنالك أمور من البديهي أنها ليست واجبة شرعا في المقدمة سنذكرها ونأتي عليها ليست واجبة شرعا أن يعلمها قارئ القرآن كالرسم مثلا.

إذا كان الكتاب أمامه واضحا ويستطيع قراءته فأين الوجوب أن يتعلم الرسم وأن هذه كتبت كذا وكتبت كذا. كونه يُحسن قراءته.

فلذلك اختلفوا في كلمة الواجب في قول الناظم.

ما الذي يجب عليهم أن يتعلموه؟ سيذكر المصنف ما يجب عليهم.

يتعلموا مخارج الحروف والصفات معرفة الوقف والابتداء والرسم القرآني وما شابه وقد ذكر ذلك المصنف رحمه الله حيث قال:

قَبْلَ الشُّرُوعِ أَوَّلًا أَنْ يَعْلَمُوا

إِذَا وَاجِبٌ عَلَيْهِمْ مُحْتَمٌ

مَخَارِجَ الْحُرُوفِ وَالصِّفَاتِ

هذا الواجب عليهم

لِيَلْفِظُوا بِأَفْصَحِ اللُّغَاتِ

لماذا يتعلموا ذلك؟ حتى يلفظوا بأفصح اللغات يعني تكون اللغة فصيحة بينة ظاهرة ليس فيها خفاء

مُحَرَّرِي التَّجْوِيدِ وَالْمَوَاقِفِ

محرري التجويد الذي يتحرى هذا العلم ويطلب هذا العلم حتى يصل للإتقان فلا بد أن يتعلم مخارج الحروف والصفات حتى يلفظ بأفصح اللغات.

وكذلك

مَا الَّذِي رُسِمَ فِي الْمَصَاحِفِ

يتعلم أين يقف؛ الوقف الحسن، والوقف القبيح، والابتداء، وما شابه وما الذي رُسم في المصاحف أيضا يتعلم ذلك.

مِنْ كُلِّ مَقْطُوعٍ وَمَوْصُولٍ بِهَا وَتَاءٍ أَنْشَى لَمْ تَكُنْ تُكْتَبُ بِهَا

أيضا يتعلم الرسم القرآني وكيفية مجيئه وكذلك يتعلم التفريق بين بعض الحروف وما شابه سيذكر ذلك الناظم خلال المقدمة.

هنا أتبه أن «بها» في قوله: «مِنْ كُلِّ مَقْطُوعٍ وَمَوْصُولٍ بِهَا» أي بالمصاحف، «الهاء» هنا تعود على المصاحف.

أما قوله: «وَتَاءٍ أَنْشَى لَمْ تَكُنْ تُكْتَبُ بِهَا»

قوله: «بها» أي: الهاء المعلومة الحرف المعلومة. فتاء الأنشى هنا يريد التي لم تكن تكتب على هيئة حرف الهاء وهي: المربوطة هذا هو قصده الناظم والله أعلم.

سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك.